الفصل الرابع

ماذا بعد المسيح الكنائس الأولى

بعد رفع المسيح عليه السلام بدأت العقيدة النصرانية تنتشر في بعض الأوساط على الرغم من العداء الدموي الذي واجهه أتباعها من قبل الرومان واليهود.

وقد برزت عدة شخصيات قادت الدعوة إلى النصرانية وبدا أن الاتجاه العام في مسيرة هذه العقيدة إيجاد ما يسمى بالكنيسة، وتطوير الرؤية المسيحية في جميع جوانبها العقيدية والتاريخية وحتى المذهبية. ويبرز لنا في هذا المسار وجود المجامع المسيحية التي كان لها الدور الأهم في تطوير العقيدة المسيحية.

تفرق الحواريون في البلاد بعد رفع المسيح يدعون الأمم إلى توحيد الله ودينه والإيمان بعبده ورسوله ومسيحه. فدخل كثير من الناس في دينه ما بين ظاهر مشهور ومختف مستور وأعداء اليهود في غاية الشدة والأذى لأصحابه وأتباعه. ولقي تلاميذ المسيح وأتباعه من اليهود ومن الروم شدة شديدة من قتل وعذاب وتشريد وحبس وغير ذلك. وكان اليهود في زمن المسيح في ذمة الروم وكانوا ملوكاً عليهم. وحسب المصادر المسيحية فأول كل شيء اختير للرسولية عوضاً عن يهوذا الخائن الذي كان أحد السبعين من أجل خدمة الشعب عين للشموسية بالصلاة ووضع أيدي الرسل رجال مشهود لهم عددهم سبعة كان استيفانوس أحدهم وهو أول من رجم حتى الموت[1].

وبعد ذلك دوّن عن يعقوب الذي لقبه الأقدمون بالبار أنه صار أسقفاً لكنيسة القدس ويعقوب هذا كان يدعى أخا المسيح لأن المعروف عنه أنه كان ابناً ليوسف.

وبعض المصادر تقول إن بطرس ويعقوب ويوحنا لم يسعوا وراء الكرامة

---

(١) يوسا بيوس القيصري. تاريخ الكنيسة. ترجمة القمص مرقص داود ص ٥٢.

بل اختاروا يعقوب البار أسقفاً لأورشليم[1]. وتروي نفس المصادر أن المسيح وهب معرفة ليعقوب البار وليوحنا وبطرس. وهؤلاء أعطوها لباقي الرسل. وباقي الرسل أعطوها للسبعين الذي كان برنابا أحدهم. وقد كان هناك اثنان باسم يعقوب أحدهما يدعى البار وهو الذي طرح من فوق جناح الهيكل ويقول أحد المصادر أنه رجم حتى الموت. والآخر قطع رأسه.

وأرسل التلميذ توما أحد الرسل ويدعى تداوس إلى أوديسا وبدأ ينشر الدعوة هناك وما تقوله المصادر المسيحية الأولى إن اليهود أثاروا أول وأعظم اضطهاد على كنيسة أورشليم وذلك على إثر استشهاد استفانوس وعندما تشتت التلاميذ عدا الاثني عشر في كل اليهودية والسامرة ذهب بعضهم حتى فينيقية وقبرص وأنطاكية ولكنهم في ذلك الوقت لم يجسروا على تقديم كلمة الإيمان إلى الأمم ولذلك كرزوا بها لليهود فقط.

وفي ذلك الوقت كان بولس لا يزال يضطهد الكنيسة وإذ كان يدخل بيوت المؤمنين فإنه كان يجر الرجال والنساء ويودعهم في السجن[2].

وفي اتجاه آخر كان فيلبُس وهو أحد الذين رسموا شمامسة مع استيفانوس كان ضمن الذين تشتتوا ونزل السامرة وراح يدعو هناك حتى أنه استطاع حسب قول المصادر المسيحية أن يجذب إلى دعوته المدعو سيمون الساحر.

وبدأت تنتشر الكنائس في كثير من المدن والقرى وامتلأت بجماهير الشعب كبيدر ملئ بالحنطة والذين كبلت عقولهم بقيود خرافات مرض الوثنية القديم نتيجة الأخطاء التي تحددت إليهم من آبائهم وأجدادهم تحرروا بقوة المسيح العاملة في تعليم تلاميذه وأعمالهم العجيبة كأنهم قد تحرروا من أسياد

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) تاريخ الكنيسة ص ٥٣.

قساة وأطلق سراحهم من أقسى أنواع العبودية واستقبحوا كل أنواع العبادة الوثنية الشيطانية القائلة بتعدد الآلهة وجحدوها واعترفوا بأنه يوجد إله واحد فقط خالق كل الأشياء[1].

وقد آمن على يد بطرس جمهور من يونانيين في أنطاكية بشرهم بالإنجيل أولئك الذين تشتتوا بسبب اضطهاد استيفانوس ولما بدأت كنيسة أنطاكية تزداد وتتكاثر وقدم إليها أنبياء كثيرون من القدس من بينهم برنابا وبولس وأخوة كثيرون فإن اسم المسيحيين بزغ هناك أولاً[2].

ويقولون إن مرقص تابع بطرس كان أول من أرسل لمصر ليدعو إلى المسيحية.

وفي زمن حكم نيرون قطع رأس بولس في روما وصُلب بطرس أيضاً وقُتل. وبعد مقتلهما كان المدعو لينس أول من نال لقب أسقفية كنيسة روما وتولى بعده المدعو انكيش ثم جاء أسقف ثالث يدعى أكليمونضس. وفي الإسكندرية تولى الأسقفية بعد انيانوس المدعو أبيليوس. ووليها بعده المدعو كردونوس. أما في أنطاكية فقد تولى أغناطيوس أسقفيتها بعد المدعو يفوديوس.

وظلت الكنائس تنتشر في القرى والبلدان. وكلما مات أو قتل أسقف جاء بعده آخر إلى أن عمت المسيحية سواحل المتوسط الشمالية والغربية حيث انتقلت الدعوة من روما إلى فرنسا وامتدت من أنطاكية إلى كثير من البقاع في أوروبا الشرقية والشعوب السلافية وغيرها.

وقد جاء في كتاب هداية الحيارى لابن القيم:

---

(١) تاريخ الكنيسة ص ٥٣.

(٢) المرجع السابق نفسه.

وفي زمن أحد الملوك كتب مرقص إنجيله بالعبرانية وفي زمانه سار إلى الإسكندرية فدعا إلى الإيمان بالمسيح. وهو أول شخص جعل بتركاً على الإسكندرية وصير معه اثني عشر قسيساً على عدة نقباء بني إسرائيل في زمن موسى. وأمرهم إذا مات البترك أن يختاروا من الاثني عشر واحداً يجعلونه مكانه ويضع الاثني عشر أيديهم على رأسه ويباركونه ثم يختارون رجلاً فاضلاً قسيساً يصيرونه تمام العدة ولم يزل أمر القوم كذلك إلى زمن قسطنطين. ثم انقطع هذا الرسم واصطلحوا على أن ينصبوا البترك من أي بلد كان من أولئك القسيسين أو من غيرهم ثم سموه (بابا) ومعناه أبو الآباء. وخرج مرقص إلى برقة يدعو الناس إلى دين المسيح. ثم ملك آخر فأهاج على أتباع المسيح الشر والبلاء وأخذهم بأنواع العذاب وفي عصره كتب بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقص عنه بالرومية ونسبه إلى مرقص. وفي عصره كتب لوقا إنجيله بالرومية لرجل شريف من عظماء الروم. وفي زمنه صلب بطرس. وزعموا أن بطرس قال له إن أردت أن تصلبني فاصلبني منكساً لئلا أكون مثل سيدي المسيح فإنه صلب قائماً وضرب عنق بولس بالسيف وأقام بعد صعود المسيح اثنتين وعشرين سنة وأقام مرقص في الإسكندرية وبرقة سبع سنين يدعو الناس إلى الإيمان بالمسيح ثم قتل بالإسكندرية وأحرق جسده بالنار ثم استمرت القياصرة ملوك الروم على هذه السيرة إلى أن ملك مصر قيصر يسمى طيطس فخرب بيت المقدس بعد المسيح بسبعين سنة بعد أن حاصرها وأصاب أهلها بجوع عظيم[1].

وفي زمن القيصر دقيانوس جعل بولس الشمشاطي بتركاً في أنطاكية وهو أول من ابتدع في شأن المسيح اللاهوت والناسوت وكان النصارى قبله كلمتهم واحدة أنه عبد رسول مخلوق مصنوع مربوب لا يختلف فيه اثنان منهم فقال

---

(١) ابن القيم الجوزية. هداية الحيارى ص ٢٢٩.

بولس هذا ـ وهو أول من أفسد دين النصارى ـ أن سيدنا المسيح خلق من اللاهوت إنساناً كواحد منا في جوهره وأن ابتداء الابن من مريم وأنه اصطفي ليكون مخلصاً للجوهر الإنسي صحبته النعمة الإلهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة ولذلك سمي ابن الله وقال إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد[1].

وقد رأينا أن تشابهاً واضحاً بين ما قالته المصادر المسيحية وما قاله ابن القيم من الناحية التاريخية. وهذا مجمع عليه في كافة المصادر التاريخية.

إلا أننا وبعد الحديث المختصر عن المسيحية الأولى بعد المسيح عليه السلام نتوقف لندرس أهم الشخصيات الكهنوتية وتطويرها للعقيدة المسيحية كما نتوقف عند ما يسمى المجامع لتكتمل لدينا صورة العقيدة المسيحية عبر مسارها التاريخي المرتبط بالمسار العقيدي.

من المؤكد أن أهم الشخصيات التي تذكرها المصادر المسيحية والتي أثرت في تطور العقيدة المسيحية قد ارتبطت بوجود الكنيسة أولاً وبالمجامع اللاهوتية ثانياً. ويعتبر كتبة الأناجيل من أهم تلك الشخصيات وقد أوجزنا الحديث عنهم عندما تناولنا تلاميذ المسيح وحواريه. ويأتي بولس كشخصية مهمة مؤثرة في العقيدة المسيحية في مرتبة هؤلاء الرسل على الرغم من أنه لم يشاهد المسيح شخصياً.

في القرنين الأول والثاني ظهر بولس وظهرت الغنوصية وأغناطيوس الأنطاكي وإكليمندس الروماني والمدعو بوليكا ربوس وإيريناوس ويوستينوس وتايتانوس واثيناغورس وثيوفيلوس وملتون الساردسي.

أما القرن الثالث فقد ظهرت الغنوصية والماركيونية على ماركيون ثم

---

(١) ابن القيم الجوزية. هداية الحيارى ص ٢٣٠.

البنيون واكلمندس الإسكندري وترتليانوس وكبريانوس وأوريجانوس ثم هيبليتوس ونةفايتانوس وديونيسيوس الإسكندري ثم لوقيانوس الذي كان له أكبر دور في تأسيس مدرسة أنطاكية اللاهوتية ثم أريوس ومجمع نيقية والقديس اثناسيوس ومجمع صور ومجمع ساردیكا ومجمع القسطنطينية ثم الأسقف أبولو ناريوس واثناسيوس[1].

فجميع ما وردت أسماؤهم إما أن يكونوا من أصل روماني أو ممن كانوا على دين اليهودية أو الوثنية الرومانية.

وقبل أن ندرس أثر كل واحد منهم في تطوير المسيحية لابد أن نشير أنه لم يعثر على واحد منهم من أصل مشرقي أو عربي وهذا ما يقودنا إلى القول إن العقيدة المسيحية توجهت من فلسطين إلى الغرب والعالم الغربي بشكل عام. وإذا استثنينا الإسكندرية وأنطاكية فإننا قلما نعثر على أي نشاط مسيحي في مدن شرقية أخرى.

---

(١) القس الدكتور حنا الخضري. تاريخ الفكر المسيحي ص ١٠ ـ ١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤.

بولس وتعاليم المسيحية

من المؤكد والمعروف أن بولس من أهم الرسل المعتمدين لدى العقيدة النصرانية بل قد يكون عند بعض المسيحيين مساوياً أو أرقى درجة من كتبة الأناجيل.

وقد أثارت تعاليم بولس الكثيرين من الدارسين والباحثين سيما أنه جاء بتعاليم خاصة به لم يقل المسيح عليه السلام بها. فهل حقاً يعتبر بولس رسولاً مسيحياً أم أنه أراد تخريب العقيدة المسيحية كما يقول بعض الدارسين؟؟.

كان اسم بولص شاؤل وهو يهودي من أسرة يهودية كهنوتية متدينة عاشت في طرسوس ويعترف بولس أنه لم يشهد المسيح بالجسد. وكان بولس يهودياً متعصباً ولم يرض قول بعض النصارى الأوائل بأن المسيح إله واعتبر ذلك تجديفاً وهوساً وكفراً. وكان قد تأثر إلى حد كبير بآراء علماء الشريعة اليهودية وشيوخ الناموس. وقد شارك بولس المتظاهرين اليهود الذين طالبوا بإعدام استيفانوس اليهودي الذي تنصر ودافع عن النصرانية فرجم وكان بولس من أخذ ثيابه وسلمها إلى الراجمين.

وتزعّم بولس شرذمة من حماة الهيكل المتعصبين وغدا يجوب الطرقات والمخابئ وينتهك حرمات الدور والمنازل وينتزع النساء من الخدور والأطفال من أحضان الأمهات ويسطو على الكنيسة يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساء ويسلمهم إلى السجن.

امتدح رؤساء الكهنة وأعضاء المجلس اليهودي غيرة شاؤل في حملته

العنيفة فخلعوا عليه وظيفة في مجلسهم الأعلى وصار له صوت مسموع في مداولاتهم عند محاكمة الحواريين من رسل المسيح. وذهب إلى رئيس الكهنة ليزوده رسائل إلى زعماء يهود دمشق ليتعقب هناك الرجال والنساء ويسوقهم إلى القدس.

وتتفق المصادر المسيحية على قصة انقلاب بولس من اليهودية إلى المسيحية فتقول على لسانه: (فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولي من السماء نور عظيم. فسقطت على الأرض وسمعت صوتاً قال لي شاول شاول لماذا تضطهدني فأجبت من أنت يا سيد فقال لي أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني فقلت ماذا أفعل يا رب. فقال لي قم واذهب إلى دمشق وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل).

وقد حاول الاتصال برسل المسيح فلم يلق منهم ترحاباً لأنهم ارتابوا في أمره...

ولم تقوَ الشائعات التي ترامت إلى التلاميذ عن أزمة طريق دمشق والتجائه إلى البيداء العربية وتجديد حياته على أن تبدل موقف الرسل حياله. وتبدد الظنون التي حامت حول مسلكه إلى أن قيّض الله له صديقاً قديماً اسمه برنابا أي رجل التعزية وهو يهودي قبرصي المولد ممن اهتدوا إلى الدين الجديد[1].

وتورد المصادر المسيحية أنه رافق برنابا في رحلة إلى أنطاكية ليدعوا إلى العقيدة المسيحية حيث اعتنقها الكثيرون من هذه المدينة.

وحوالي سنة ٤٤م كان أتباع يسوع يدعون بالناصريين ـ أو النصارى ـ

---

(١) حبيب سعيد. سيرة بولس الرسول ص ٣٨.

وكلمة يسوع عبرانية الأصل معناها المنقذ. وقد اضطر الأتباع والأنصار إلى تبديل اللقب اليهودي الذي كان مقتصراً على اليهود المتنصرين في فلسطين وخلعوا على أنفسهم أو ربما خلع عليهم الأهلون لقباً جديداً فصاروا مسيحيين نسبة إلى المسيح ودعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً. وكان بولس آنذاك في أنطاكية وشهد بدء هذه التسمية على أتباع المسيح عليه السلام.

وتقول المصادر المسيحية إنه كانت أرملة لها ابن يدعى مرقص في الثامنة عشرة أو العشرين من عمره ومن تلاميذ يسوع. وقد استمع مرقص إلى أحاديث برنابا وبولس إبان إقامتهما عنده ولما أزمع الرسولان الرحيل إلى أنطاكية تطوع الشاب للذهاب معهما أو ربما يكونان قد دعياه لما توسم فيه شاول من نفع للخدمة كما قال عنه فيما بعد.

وقد اعتزم رحلته الأولى مع برنابا ومرقص وبدأت كنيسة أنطاكية تزدهر وتتسع ورحلوا ثلاثتهم أولاً إلى قبرص مسقط رأس برنابا الذي له فيها أصدقاء وذوو قرابة. ثم يسافرون إلى باخوس ومنذ ذلك تبدأ دعوة بولس في المدن الرومانية مثل أفسس وكونثوس وقيصرية وروما. وقد أفرز حياته للعالم الروماني.. وقد عاد مرقص إلى القدس بعد أن ترك بولس وبرنابا وذلك عند مدينة برجة الرومانية.

وقد تنقل بولس من مدينة إلى مدينة في بلاد اليونان وكانت وجهته دوماً المناطق التي يسكنها اليهود. من هذه المدن مثلاً سالونيك وكان بها مجمع يهودي. وهي من أكثر المدن سكاناً في اليونان. والتقى باليهود هناك (وحدثهم عن المنقذ الذي تألم وقام من بين الأموات يسوع المسيح وكثيرون منهم لم يفهموا هذه الفكرة وترقبوا المنقذ ملكاً أرضياً عظيماً يجيء في موكب النصر

والفخار لا إنساناً فقيراً يذيقه وال روماني ميتة العار[1]). ويتابع بولس رحلاته حتى مر بأفسس ثم وصل روما وراح يدعو للمسيحية حتى ألقي القبض عليه ودفع حياته ثمناً لأفكاره التي لم ترق للرومان.

إن ما يهمنا من شخصية بولس وأفكاره المستجدات التي استحدثها ولم تكن في الأساس في العقيدة النصرانية.

فهو من بين الرسل أول من دون رسائله وعلى ما يظن أن أولى رسائله كتبت في حوالي سنة ٥٢م (رسالة كورنثوس) وآخر رسالة كتبت في حوالي ٦٦ أو ٦٧م.

وترى المصادر المسيحية إن رسائل بولس تحوي ما يسمى قوانين الإيمان وهي عبارة عن جمل وعبارات يُظن أن بولس حاول بها أن يلخص الإيمان المسيحي. وقد اعتمدت عباراته لدى الكنيسة المسيحية خاصة عند دخول أحد الأشخاص العقيدة المسيحية وتعميده. واستعملت الكنيسة الأولى هذه العبارات كقوانين للإيمان وكان على كل طالب للعماد والانضمام إلى الكنيسة أن يردد هذه الآيات كاعتراف منه بأن يسوع الناصري هو المسيح الرب[2]. ونرى من خلال ذلك أن بولس ابتدع هذه العبارات والجمل بنفسه ولم تكن من أقوال المسيح أو من أقوال من عايشوه.

وفي رسائله أيضاً تعاليم أخرى مختصة بالمسيح فهو يعتقد بأن المسيح هو صورة الله غير المنظور ويرى ما أكبر الفرق بين المسيح صورة الله النقية الطاهرة الذي أطاع الآب حتى الموت موت الصليب والعار وآدم الذي خُلق على صورة

---

(١) حبيب أسعد. سيرة بولس الرسول ص ١٠٣.

(٢) د. حنا الخضري. تاريخ الفكر المسيحي ص ٣٨٥.

الله فشوه هذه الصورة بعصيانه وابتعاده[1].

ويرى في المسيح أنه سابق الوجود وقد شدد بولس على أن المسيح أزلي الوجود فإن ظهور يسوع الناصري في فلسطين لم يكن هو بداية وجود المسيح بل هو موجود قبل كل موجود.

ويرى فيه السيد وعلى ما يظن فإن بولس عندما أعطى لقب سيد KYRIOS للمسيح كانت صورة الإمبراطور الروماني السيد على الإمبراطورية المترامية الأطراف حاضرة في ذهنه. فلقد عبد الرومان أباطرتهم كآلهة وأعطوا لهم لقب سيد والرسول بولس يستخدم هذا الاصطلاح - سيد للمسيح -.

ويعطي بولس المسيح لقب ابن الله وبنوته المسيح لله تختلف الاختلاف كله. فإن المسيح ابن الله بالطبيعة فهو شريك له في الطبيعة والجوهر[2]. وقد سماه آدم الأخير والإنسان الثاني والمخلص الفادي وبهاء مجد الله وجوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته.

ومن الأمور الهامة التي ترتبط بأفكار بولس ما طرحه في المؤتمر الأول للمسيحيين الذين كانوا يهوداً ووثنيين. ففي أنطاكية نشأت جماعات من الوثنيين لم تراعِ فريضة الختان. فنشأت بينهم وبين الذين تنصروا من أصل يهودي خلاف شديد وقد قام اليهود يعارضون الخطة التي انتهجها رسل الأمم ويبلبلون أفكار المسيحيين الذين اهتدوا على يد بولس في كنائس ولاية غلاطية الرومانية طالبين أن يتهود الوثنيون أولاً قبل تنصرهم فكان موقف بولس يتمثل بنضاله في سبيل الحرية المسيحية طالباً أن يترك للوثنيين حرية التصرف في المأكل والمشرب مع عدم إعثار اليهود في ذلك على أن يكف اليهود عن مطالبة متنصري الوثنية

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ٣٣٧.

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٣٣٨.

بالخضوع لناموسهم وخاصة في موضوع الختان.

ولما احتدم الخلاف كُلف بولس وبرنابا بالذهاب إلى القدس للقاء أكابر المسيحية. وفي القدس عقد مجلس الرسل والشيوخ. وقد أصر متنصرو أنطاكية على أن يختن الوثنيون الداخلون حديثاً ومعنى ذلك أن عليهم التهوّد أولاً ثم التنصر. وحسم الأمر رئيس المجلس المدعو يعقوب وكان يهودياً من المحافظين وأحد التلاميذ الاثني عشر حسب ما تقوله المصادر المسيحية فقال إن الله يطلب من اليهود والأمم على السواء ليكون الجميع له شعباً وليس حسناً بنا أن نقيم العثرات في طريق الأمم الذين يرجعون إلى الله فلا نصر على تهويدهم أو ختانهم قبل أن يصيروا أتباعاً وتلاميذ. إنما نكتب لهم فقط أن يمتنعوا عن أكل ما قدم للأصنام وأن يعيشوا حياة طاهرة في غير فساد وألا يأكلوا من الحيوانات المخنوقة والدم[1]. ولا يرى بولس وبرنابا غضاضة في قبول هذا الرأي ولو أن رائحة اليهودية الضيقة تفوح منه بعض الشيء. وليس لهذا الجدل قيمة لنا نحن أبناء هذا العصر وإن كنا نقف من أولئك اليهود المسيحيين موقف الدهشة والغرابة أن نراهم يتشددون مع الأمم إلى هذا الحد ويفرضون عليهم التهود أولاً والخضوع لشريعة موسى[2].

وإذا تمعنا إلى حياة بولس منذ بداية دعوته نجد أنه قد انطلق إلى الأمم وجرّ وراءه تلاميذ يسوع يقاومونه في كل مكان. وكان كثيراً ما يهرب منهم أو من الأسس التي يبشرون بها وبولس نفسه يعترف بالهرب كما يعترف باختلاف الأسس التي يبشرون بها. وهذا الاختلاف ذو معنى كبير عندما قال: ولكن كنت محترضاً أن أبشر هكذا ليس حيث سمي المسيح لئلا أبني على أساس آخر.

---

(١) حنا الخضري. تاريخ الفكر المسيحي. ص ٧٦.

(٢) حبيب سعيد. حياة بولس الرسول ص ٧٧.

وقد ورد في روميه ١ : ١٣ أن أعداء بولس من المبشرين كانوا يمنعونه من التبشير ويؤلبون الناس عليه حتى ارتد عنه جميع أهالي آسيا كما ورد في تيموثاوس ٢ ـ ١ : ١٥ . وكثيراً ما كان يجلس مع أحزانه يئن تحت الجراح ليشكو آلامه وهمومه إلى أصحابه ولكن ها هو يقول : في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي بل الجميع تركوني .

وأصبح الرعب رفيقه الدائم من الأصدقاء والأعداء على حد سواء . وعندما تسلل اليأس إلى قلبه راح يلعن الجميع ويشتمهم أما أعداؤه فهم غاشون كلمة الله ورسل كذبة فعلة ماكرون مغيّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح . يخدعون الناس بالكلام الملق ذوي حسد وخصام ومراؤون فاسدون في الذهن والإيمان فجار . إنهم كالحيوانات غير الناطقة وتابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين وبعدها طالب بإبعادهم عن طريقه أو هلاك أجسادهم وتسليمهم للشيطان أو الموت[1] .

وكل هذه الاتهامات التي كالها بولس موجودة في الرسائل الملحقة بالأناجيل .

وقد هاجم بولس أصحابه الذين ارتدوا عنه فهم حسب ما قال أغبياء وأغبياء بالجملة والذين لم يرتدوا عنه عاملهم كأغبياء فحظر عليهم مخالفة أي مبشر يقول بغير أسسه فقد كان يخشى حجة خصومه التي قد تكون دامغة . وعندما كثر المرتدون راح يعزي نفسه بالبشائر .

وقد تميز منهج بولس بالغيبية ودافع عنه مما سبب تململ مريديه منه . ويعترف بإنجيله الخاص الذي ذكره في أماكن متفرقة من رسائله قائلاً ـ حسب إنجيلي وإنجيلنا كما سماه بإنجيل مجد الله المبارك .

---

(١) عمر لطفي النجار . العقل والإلحاد . ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .

وباعتبار أن بولس لم يتلق تعاليمه من السيد المسيح فقد اعتمد في كتابته على أحلام ورؤى رآها في منامه أو صحوته حيث يشطح العقل أحياناً. فهو يقول: الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح. فالمسيح الميت أملاه عليه وتلك هي مزاعم الوسطاء من الروحيين وما ذلك إلا رغبة في التحرر من المعايير وبولس إن تم تصديق مزاعمه فقد أصبح إنساناً فوق النقد وأصحاب المسيح وآراؤهم ليسوا بحجة عليه وكيف يكونوا حجة إذا أخذوا علمهم ميتاً عن ميت بينما هو آخذ علمه من الحي الذي لا يموت[1].

وعندما فرغ بولس من تدوين إنجيله المعلن من يسوع خشي افتضاح أسسه التي يقول عنها (وعرضت عليهم الإنجيل أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً) غلاطية ٢ : ٢. ولكن أليس غريباً أن يشك بولس في صدق الوحي، في صدق وأمانة المسيح الذي أملاه عليه حتى جعل من الناس أو إنجيل التجربة حكماً على إنجيل الوحي.

وفي مؤتمر نيقية أتلف إنجيل بولس. وهناك من الأناجيل التي أُتلفت إنجيل يسمى بالإنجيل الاغنطسي وهو يبتدئ بمقدمة تندد بالقديس بولس.

والواقع أن بولس هو الذي رسم صورة المسيح كما نراها عند أصحاب العقيدة المسيحية وقد اعترف علماء اللاهوت المسيحيون أن بولس ترك عن المسيح رسماً واضح القسمات وإن اختلف ظاهراً عن رسم مسيح الأناجيل. فمسيح بولس هو مسيح الإيمان أكثر منه مسيح التاريخ. ولا عجب فبولس الفيلسوف واللاهوتي لم ير المسيح في الجسد ولا رافقه كباقي الرسل فمسيحه هو ابن الله.

---

(١) عمر لطفي النجار العقل والإلحاد ص ١٨٦ ـ ١٨٧.

وقد اعترف الكثيرون من العلماء والباحثين الغربيين بمؤامرة بولس على العقيدة المسيحية وإدخاله للتعاليم الوثنية فيها حتى خرّبت تماماً وحرفها عن أصلها التوحيدي.

يقول أرنست دي بونس في كتاب له اسمه (الإسلام أي النصرانية الحقة) صفحة ١٤٢: (إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس وأشباهه من الذين لم يروا المسيح، لا من أصول النصرانية الحقة.

وقال ول ديورانت: (أما بولس فهو الذي أشاد صرح المسيحية الديني. لقد عثر بولس في خفايا الشريعة اليهودية على حلم يصور لليهود فلسفة الحشر والنشر فحوره ووسع نطاقه وجعله عقيدة ذات قوة تستطيع أن تحرك العالم بأسره واستطاع بصبره الشبيه بصبر رجال السياسة أن يمزج مبادئ اليهود الأخلاقية بعقائد اليونان فيما وراء الطبيعة. وأوجد طقوساً خفية جديدة.. ومع هذا كله بقي الرجل الذي فصل المسيحية عن اليهودية من حيث الجوهر والأساس يهودياً في قوة خلقه وصارمة مبادئه. ولما أراد رجال العصور الوسطى الدينيون أن يجعلوا الوثنية كثلكة (مذهب كاثوليكي) براقة لم يجدوا ما يتفق مع هذه النزعة فلم يقيموا له إلا قليلاً من الكنائس. أو البروتستانتية فهي نصر لبولس على بطرس وكان الاعتقاد بأن النجاة إنما تكون بالإيمان والعقيدة نصراً لبولس على المسيح).[1]

ويرى الكثيرون أن بولس جاء بدين جديد خاص به فلم يكن مسيحياً ولم يكن يهودياً. بل إن تعاليمه تدل على أنه يهودي أراد أن يصنع من تعاليمه يهودية جديدة.

---

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة، مجلد ١١ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

وقد وردت بعض النصوص على لسانه ودوّنت في رسائله ما يدل على أنه ينقض تعالم المسيح ويرفضها.

فقد جاء في رومية ٧/ ٦ قوله: (وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذي كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدّة الروح لا بعتق الحرف).

ويعترف في قول آخر إنه يشرع حسب رأيه وليس حسب تعاليم المسيح عليه السلام فيقول: (وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن ولكنني أعطي رأياً كمن رحمه الرب أن يكون أميناً فأظن أن هذا حسن)[1].

وقد ذكرنا سابقاً، أن بولس قد حرم الختان مع أن التوراة أمرت به ومع أن المسيح خُتن وهو ابن ثمانية أيام، وقد جعل الختان حسب زعمه ختان القلب بالروح لا بالكتاب. ولو تفحصنا النصوص التي وردت على لسان بولس وجدنا أنه في أحدها يلعن السيد المسيح: (إن المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة). غلاطية ٣/ ١٣.

والمكتوب في التوراة أن من اكتسب خطيئة يستحق عليها القتل فقتل وعلق على خشبة فلا تبتْ جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله.

فقد حرف بولس هذا الحكم وتلاعب بالنصوص وحرفها من أجل أن يحمل الناس على عدم المبالاة بالشريعة لأن المسيح لُعن بعذاب الصلب وعُذب بدلاً عن الناس فلا تلحقهم لعنة ترك الناموس لأنه حمل أوزارهم كاملة وإلى الأبد ولذا لا يُعاقب أي إنسان على أي ذنب.[2]

---

(١) كورنثوس الأولى، ٧/ ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) محمد علي برّو العاملي: الكتاب المقدس في الميزان، ص٣٠٤ ـ ٣٠٥.

ونرى أيضاً شهادة أحد المؤرخين العرب القدامى وهي تتناول النصرانية وشخصية بولس وهذا المؤرخ هو الكلبي وهو من كبار العلماء في القرن الثاني الهجري. يقول:

(إن النصارى كانوا على دين الإسلام إحدى وثمانين سنة بعدما رُفع عيسى حتى وقعت بينهم وبين اليهود حرب وكان من اليهود رجل شجاع يقال له بولس وكان قتل جملة من أصحاب عيسى عليه السلام فقال يوماً لليهود إن كان الحق مع عيسى فكفرنا به فالنار مصيرنا فنحن معذبون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار ولكن سأحتال وأضلهم). ثم قال بعد أن درس الإنجيل سنة كاملة: (نوديت أن الله تعالى قد قبل توبتك فصدقوه وأحبوه ثم مضى إلى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطور وعلمه أن عيسى ومريم والإله كانوا ثلاثة ثم توجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال لهم لم يكن عيسى بإنس ولا جن ولكنه ابن الله).[1]

نستخلص مما تقدم أن بولس لم يكن على عقيدة المسيح بل ابتدع رؤية دينية خاصة به هي أقرب إلى العقائد الوثنية من التوحيدية. ولا داعي لكل نصراني عاقل أن يعتمد ما جاء به بولس لأنه باتباعه تعاليمه يكون قد خالف المسيح وعقيدة المسيح التي نادى بها في إنجيله السماوي. ولا داعي للإصرار والعناد على رسولية بولس ولعل في محاكمة العقل سبيل للخلاص من تلك التعاليم. وسبيل للخلاص مما علق بالمسيحية الحقة من لوثات مقصودة أرادها بعض اليهود وبعض الوثنيين الغربيين.

---

(١) حياة الحيوان للدميري، ٢: ١٦١.

الغنوصية والمسيح

يعتبر عصر بولس وبعده بقليل عصر تطوير العقيدة المسيحية الغربية. وقد ظهرت حركة الغنوصية التي يتزعمها عدد كبير من رجال الدين والفلاسفة المتنصرين وغنوصية كلمة يونانية وتعني المعرفة أو العلوم الخاصة بالأمور الروحية أو الإلهية وتشمل الغنوصية عدة مذاهب إلا أنها تشترك في شيء واحد وهو المعرفة وهذه المعرفة تأتي عن طريق الإلهام. وهذه المعرفة تحل في تعاليم الغنوصية محل الإيمان في تعاليم بولس. والغنوصية خليط من الأفكار الفلسفية الدينية اليونانية والثنائية الفارسية واليهودية والمسيحية. وخلاصة أفكارها بالنسبة للمسيح هو أن الروح التي كانت في البداية في عالم سماوي منير سقطت فجأة من هذا العالم المنير إلى الأرض حيث أصبحت سجينة الجسد الحساس. ولقد تأثر الإله الأعظم تأثراً كبيراً لسقوط الروح إلى عالم المادة وسجن الشرارات الإلهية فيه. ولذلك فقد أرسل المخلص لكي يخلصنا من هذا السجن واتخذ هذا المخلص مظهر إنسان لأن الإله لا يمكنه أن يتحد بالمادة المرئية واستطاع بهذه الطريقة أن يعلن للعارفين (الغنوصيين) أصلهم أي أنهم من عالم سماوي وعندما أتم هذه المهمة صعد بالقرب من الأب وبذلك فقد فتح الباب أمام الشرارات المنيرة التي ستصعد هي بدورها أيضاً إلى المخلص عندما تتخلص من السجن الجسدي.

وقد بدأت الغنوصية في القرن الأول الميلادي ولكنها ازدهرت وانتشرت في القرن الثاني وأبو الغنوصيين هو سيمون الساحر. ويرى بعض المفكرين أن الغنوصية انتشرت بداية في وسط الشعب اليهودي المسيحي في بابل. ومن هؤلاء

الغنوصيين (سرنت) اليهودي ويعتقد (سرنت) بأن الله وحده مطلق وكماله يفوق كل وصف ثم يرى من ناحية أخرى المادة غير المنظمة والتي تشبه الخواء والخراب وكانت تفصل بين الله والمادة هوة عظيمة ويرى (سرنت) أن الله أعطى الإله اليهودي ناموسه غير الكامل وبما أن هذا الناموس الذي أمر به كان غير كامل فقد وعد الإنسان بمسيا، على أن هذا المسيا لم يكن هو نفسه أيضاً كاملاً ولأجل ذلك فقد أرسل الله السامي إلى العالم واحداً من الملائكة الأوائل الذين خرجوا منه أولاً. ولقد اتحد هذا الملاك بيسوع في لحظة العماد. ولقد أوحى الملاك ليسوع بسر الآب الذي خرج منه كما أعطى أيضاً له الناموس الكامل والمعرفة الحقيقية حتى يعلنها للناس لكي يخلصوا بها.[1]

ويرى بعض الغنوصيين أن المسيح لم يأخذ جسداً بشرياً مادياً كأجسادنا لأن المادة خطيئة لدرجة أنه علم بأن خروج المسيح من رحم مريم العذراء لم يفض عذراويتها لأن مرور المسيح من رحمها كان كاختراق النور للمواد الشفافة أو المياه للثوب. وقد انتشرت هذه التعاليم في مدينة أفسس اليونانية ويرى الباحثون أن إنجيل يوحنا كتبه صاحبه رداً على أفكار سرنت اليهودي الإسكندري.

ولعل من أهم اللاهوتيين في تاريخ الفكر المسيحي آريوس الذي قيل أنه من أصل ليبي وقد نشأ في بيئة وثنية ومن ثم درس اللاهوت في مدرسة أنطاكية على يد المعلم لوقيانوس ثم جاء إلى الإسكندرية ورسّم هناك شيخاً في كنيسة بنكاليس.

وأهم أفكاره قوله بأن الله إله واحد غير مولود أزلي أما الابن فهو ليس أزلياً إذ أنه وُجد وقت ما لم يكن الابن موجوداً فيه.

---

(١) القس حنا الخضري، تاريخ الفلسفة ص ٣٩٩.

وهذا الابن غير الأزلي وغير المولود من جوهر الأب خرج من العدم مثل كل الخلائق الأخرى بحسب قصد الله ومشيئته. ويرى أن المسيح الذي يعبده المسيحيون ليس إلهاً ولا يملك الصفات الإلهية المطلقة.

ولما رأى أساقفة الإسكندرية أفكار آريوس التوحيدية شنوا عليه حملة وأحضروه للإسكندرية لمناقشته. ولما رفض الخضوع لطلب كاهن الإسكندرية عقد مجمع (سنودس) حوالي ٣٢٠ ـ ٣٢١م. وقرروا إعفاءه من الخدمة الكنسية. وبقيت أفكاره منتشرة بين الكثيرين من المسيحيين حتى انتشرت في العديد من المناطق الساحلية لساحل المتوسط. ولكن عصره كان عصر قسطنطين الإمبراطور الروماني الذي تبنى المسيحية فأصبح لزاماً عليه وحفاظاً على الإمبراطورية أن يسعى لإعادة آريوس إلى الوحدة مع الكنيسة ونبذ الخلافات بينه وبين معارضيه من الكهنة المسيحيين في الإسكندرية وأنطاكية وغيرهم.

ويمكن أن نقول إن عصر قسطنطين ٣١٣ م شهد تحولاً خطيراً في المسيحية حيث أصدر هذا الإمبراطور إعلان ميلانو الشهير الذي سمح باعتناق المسيحية لكل من يريد وسمح بإنشاء أول كنيسة مسيحية في روما وإن بقي هو على دينه القديم وتم تعميده إلى المسيحية بعد موته فقط/ في عام ٣٨٠م تولى الإمبراطور تيودوسيوس حكم الإمبراطورية وقرر اعتبار المسيحية الديانة الوحيدة والرسمية للإمبراطورية. وعلى أثر ذلك بدأ انتشار المسيحية إلى كل الجهات الأوروبية ومناطق الشرق باعتبارها كانت خاضعة للحكم الروماني.

ولكن يجب أن نعرف هنا أن اختلافاً واضحاً وقع بين المتنصرين الغربيين والنصرانية الشرقية وقد حدث جدل عنيف في القرن الرابع والخامس. وأهم خلاف كان هو حول طبيعة المسيح نفسه. فالأساقفة الرومان واليونان مصرون

على عقيدة التثليث بينما كانت أفكار آريوس التوحيدية تنتشر في الشرق. وهذا يقودنا إلى دراسة المجامع وما تبنته من أفكار وما زادت وابتدعت من شؤون عقدية أضافتها إلى ما قاله التلاميذ والرسل الأولون.

المجمع الأول

بعد موت بولس اجتمع ثلاثة عشر أسقفاً في مدينة أنطاكية ونظروا في ما قاله بولس فأوجبوا عليه اللعن فلعنوه ولعنوا من يقول بقوله وانصرفوا.

المجمع الثاني

بعث قسطنطين إلى جميع البلدان البتاركة والأساقفة فاجتمع في مدينة نيقية بعد سنة وشهرين ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً. فكانوا مختلفي الآراء مختلفي الأديان فمنهم من قال المسيح ومريم إلهان من دون الله وهم المريمانية. ومنهم من قال المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة نار فلم ينقص الأولى لإيقاد الثانية منها. ومنهم من كان يقول لم تحبل مريم لتسعة أشهر وإنما مر نور في بطن مريم كما يمر الماء في الميزاب لأن كلمة الله دخلت من أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها وهذه مقالة (الباد واشياعه). ومنهم من قال إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره وأن ابتداء الابن من مريم وأنه اصطُفي ليكون مخلصاً للجواهر الإنسية، صحبته النعمة الإلهية فحلّت منه المحبة والمشيئة فلذلك سمي ابن الله. ويقولون إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس (وهذه مقالة بولس وأشياعه). ومنهم من كان يقول ثلاثة آلهة لم تزل صالح وطالح وعدل بينهما وهذه مقالة (مرقيون وأشياعه) ومنهم من يقول ربنا هو المسيح وهي مقالة ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً.

يقول تعالى واصفاً حال من اختلفوا: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ [النساء/ ١٥٧].

ويعتبر المجمع الثاني من أهم وأكبر المجامع إذ يعتبر مرحلة جديدة بكل معاييرها في عقيدة المسيحية الغربية. إذ أن قسطنطين الإمبراطور لما سمع مقالة الأساقفة عجب من ذلك وأخلى لهم داراً وتقدم لهم بالإكرام والضيافة وأمرهم أن يتناظروا فيما بينهم لينظر من معه الحق فيتبعه فاتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً على دين واحد ورأي واحد وناظروا بقية الأساقفة المختلفين فظفروا عليهم في المناظرة. وكان باقي الأساقفة مختلفين في الآراء والأديان. فصنع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً مجلساً عظيماً وجلس في وسطه وقال لهم قد سلطتكم اليوم على المملكة.

ومن ما خرج به هذا المجمع:

١ ـ إظهار دين المسيحية في روما والإمبراطورية الرومانية.

٢ ـ ثبتوا مقولة إن الابن مولود من الأب قبل كون الخلائق وأن الابن من طبيعة الأب غير مخلوق. واتفقوا أن يكون فصح النصارى يوم الأحد ليكون بعد فصح اليهود وأن لا يكون فصح اليهود مع فصحهم في يوم واحد. ومنعوا أن يكون للأسقف زوجة.

٣ ـ قرر المجمع بناء كنيسة القيامة وقامت هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين بالذهاب إلى بيت المقدس محملة بالأموال فبنت الكنيسة في موضع الصليب والمقبرة.

٤ ـ اتفق الجميع على محاربة آريوس الذي دعا للوحدانية فلعنوه وأصحابه وكل من قال مقالته.

٥ ـ أمر الملك أن لا يسكن يهودي بيت المقدس ومن لا يتنصر قتل فظهر

دين النصرانية وتنصر من اليهود خلق خوفاً من القتل وظلوا مخلصين ليهوديتهم في السر مما دفع الملك أن يتفق مع الأساقفة على ذبح الخنازير وإطعامها للناس على باب الكنائس ومن لم يأكل من لحم الخنزير قتل. وقد قتل خلق كثير بسبب امتناعهم عن أكل لحم الخنزير. وقد حلل بولس أكل لحم الخنزير مدعياً أن المسيح نقض الناموس وجاء بناموس جديد اسمه الإنجيل.

٦ ـ بعد موت الملك وتولي ابنه مكانه تقرب إليه جماعة آريوس فنصرهم واستطاعوا الاستيلاء على كنائس قسطنطينية وأنطاكية والإسكندرية وغلبوا على كنائس مصر وأثناء ذلك قتل المسيحيون بعضهم بعضاً واختلفوا أشد الاختلاف. ومنذ ذلك الوقت بدأ تشكل المذاهب والفرق المسيحية المختلفة.

المجمع الثالث

في هذا المجمع ثار بعض الأساقفة ضد أفكار آريوس واتفقوا مع ملك روما بعد ثمان وخمسين سنة من زمن المجمع الثاني وتم المجمع في نيقية وادعوا أن النصرانية قد فسدت فقالوا إن روح القدس خالق غير مخلوق إله حق من إله حق من طبيعة الآب والابن جوهر واحد وطبيعة واحدة وزادوا على ما تبناه المجمع الثاني قولهم (نؤمن بروح القدس الرب المحيي الذي من الأب انبثق الذي مع الآب والابن وهو مسجود وممجد، وبينوا أن الابن والآب وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاثة خواص وأنها وحدة في تثليث وتثليث في وحدة. وبينوا أن جسد المسيح بنفس ناطقة عقلية فانفض هذا المجمع وقد لعنوا فيه كثيراً من أساقفتهم وأشياعهم.

المجمع الرابع

بعد نصف قرن على انعقاد المجمع الثالث انعقد المجمع الرابع وكان سببه ما قاله نسطورس وأتباعه النسطوريون. وملخص رأيه أن مريم ليست بوالدة إله

على الحقيقة ولذلك كان إثنان أحدهما الإله الذي هو موجود من الآب والآخر إنسان وهو الموجود من مريم. وأن هذا الإنسان الذي نقول إنه المسيح متوحد مع ابن الإله ويقال له إله وابن الإله ليس على الحقيقة ولكن موهبة. واتفاق الاسمين على طريق الكرامة.

على إثر ذلك اجتمع مئتا أسقف في مدينة أفسس وأرسلوا إليه للمناظرة فرفض ثلاث مرات فلعنوه ونفوه وبينوا أن مريم ولدت إلهاً وأن المسيح إله حق من إله حق وهو إنسان وله طبيعتان.

وتعصب له بترك أنطاكية فجمع الأساقفة ولكن الملك انتصر للأساقفة الأولين فتمت لعنة نسطورس ونفي إلى مصر ومات هناك ودفنت أفكاره إلى أن أحياها ابن صرما مطران نصيبين وبثها في بلاد المشرق فأكثر نصارى المشرق والعراق نسطورية.

المجمع الخامس

وعقد على إثر مقالة الراهب الطبيب أوطيسوس والتي يقول فيها: إن جسد المسيح ليس هو من أجسادنا بالطبيعة وأن المسيح قبل التجسد من طبيعتين وبعد التجسد طبيعة واحدة وهو أول من أحدث هذه المقالة وهي مقالة اليعقوبية. فرحل إليه بعض الأساقفة فناظروه وأصر على موقفه فلعنه الأساقفة. ثم استعطف الملك وادعى أنه ظلم فجمع الملك القساوسة في مدينة أفسس. ثم انحصرت مقالته في مصر وبقيت الكنائس الأخرى على موقفها.

المجمع السادس

وعقد هذا المجمع في مدينة حلقدونية وقد اجتمع في هذا المجلس ستمائة وثلاثون أسقفاً فنظروا في مقالة اليعقوبية فلعنوا أوطيسيوس واليعقوبية وقالوا إن المسيح إله وإنسان في المكان مع الله باللاهوت وفي المكان معنا

بالناسوت ويعرف بطبيعتين. تام باللاهوت وتام بالناسوت ومسيح واحد. وفي هذا المجمع لعنوا آريوس وقالوا إن روح القدس إله وإن الآب والابن وروح القدس واحد بطبيعة واحدة وأقانيم ثلاثة وثبتوا قول المجمع الثالث في مدينة أفسس. وقالوا إن مريم العذراء ولدت إلهاً ربنا اليسوع المسيح الذي هو مع الله بالطبيعة ومع الناسوت بالطبيعة وشهدوا أن للمسيح طبيعتين وأقنوماً واحداً ولعنوا نسطورس وجماعته.

المجمع السابع

وتتابعت الصراعات فظهر في أيام الإمبراطور أنسطاس الراهب سورس القسطنطيني وكان على رأي أوطيسيوس وطلب من الملك أن يُلعن مجمع حلقدونية وقال إن الدين الصحيح ما قاله أوطيسوس من أن المسيح ذو طبيعة واحدة ومشيئة واحدة وأقنوم واحد. فاختلف البطاركة واحتج بطرك بيت المقدس فنفاه الملك ثم تكاثر القساوسة ورفضوا فعل الملك فتراجع عن اضطهاده لأصحاب مجمع حلقدونية. وكان لسورس تلميذ يقال له يعقوب يقول بمقالته وكان يسمى يعقوب البرادعي وإليه تنسب اليعاقبة وقد غلبت اليعقوبية على كنيسة الإسكندرية وقتلوا فيها بطركاً يقال له بولس.

فأرسل الإمبراطور أحد قادته وأمره أن يجمع المسيحيين في كنيسة الإسكندرية فإن هم رجعوا عن مقالة اليعاقبة كان به وإن لم يرجعوا أعمل السيف فيهم.

ولم يتراجعوا فأعمل السيف فيهم فقتل كل من اجتمع في الكنيسة فقُتل داخلها وخارجها أمم لا تحصى كثرة حتى خاض الجند في الدماء وهرب منهم خلق كثير وعلى إثرها ظهرت مقالة اليعاقبة.

المجمع الثامن

وعقد هذا المجمع على إثر ظهور مقولات لأسقف منبج وهي قرية شرقي حلب حيث يقول: بالتناسخ وأن ليس هناك قيامة وكان أسقف الرها والمصيصة وأسقف آخر يقولون إن جسد المسيح خيال غير حقيقة فحشرهم الملك إلى قسطنطينية. وجمع الأساقفة واجتمع في هذا المجمع مائة وأربعة وستون أسقفاً فلعنوا أسقف منبج وأسقف المصيصة وثبتوا مقولة أن جسد المسيح حقيقة لا خيال وإنه إله تام وإنسان تام معروف بطبيعتين ومشيئتين وفعلين أقنوم واحد.

المجمع التاسع

وعقد هذا المجمع في زمن معاوية ابن أبي سفيان حيث تناحر أصحاب الأقوال في طبيعة المسيح وجرى اضطهاد بعضهم لبعض وخلص القول إلى ملك القسطنطينية فاستدعى البطاركة وحضر المجمع ثلاثمائة وثمانية ولم يكن لبيت المقدس والإسكندرية بطرك فلعنوا من تقدم من القديسين الذين خالفوهم ولعنوا أصحاب المشيئة الواحدة وقد لخصوا ما توصلوا إليه حيث قالوا: نؤمن بإله واحد من اللاهوت الابن الوحيد الذي هو الكلمة الأزلية الدائم المستوي مع الأب الإله في الجوهر الذي هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين وفعلين ومشيئتين في أقنوم واحد ووجه واحد يعرف تاماً بلاهوته تاماً بناسوته وأكد المجمع على ما جاء في مجمع حلقدونية.

المجمع العاشر

وفي هذا المجمع تراجعوا عن أقوالهم في المجمع التاسع وزعموا أن اجتماعهم كان على باطل. فجمع الملك مائة وثلاثين أسقفاً فثبتوا قول المجمع السادس. ولعنوا من لعنهم وخالفهم وثبتوا قول المجامع الخمسة.

ويجدر بنا هنا أن نورد أن المجامع انقسمت قسمين:

١ ـ مجامع مسكونية (أي عالمية).

٢ ـ مجامع محلية (أي المكانية).

فالمجامع المسكونية العالمية عقدت عشرين مجمعاً ابتداءً من مجمع نيقية سنة ٣٢٥ حتى مجمع الفاتيكان سنة ١٨٦٩. ولا يعترف الأرثوذكس إلا بقرارات المجامع السبعة الأولى التي كان آخرها مجمع نيقية الثاني عام ٧٨٧.

أما المجامع المحلية (أو المكانية) فهي كثيرة وكانت تعقدها الكنائس لمناقشة مسائل عقدية معينة ورفضها أو قبولها أو للنظر في بعض الشؤون المحلية.

وإضافة للمجامع العشرة التي أوردنا ذكراً عنها نذكر هنا مجمع القسطنطينية الثالث سنة ٦٨٠ وقد قرر هذا المجمع أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين وكان ذلك رداً على المذهب الماروني الذي كان يقول أن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة.

ثم عقد مجمع روما عام ٨٦٩ وفيه تقرر اعتبار الروح القدس منبثقاً من الأب والابن ومن يريد المحاكمة في أمر يتعلق بالمسيحية يرفع دعوى إلى كنيسة روما. ويقرر أن المسيحيين في بلاد العالم يخضعون لقرارات كنيسة روما.

وفي عام ٨٧٩ عقد مجمع القسطنطينية برئاسة فوسيوس بطريرك كنيسة القسطنطينية وفيه تقرر أن انبثاق الروح القدس من الآب فقط وبهذا المجمع وسابقه تم انقسام الكنيسة إلى غربية وشرقية وأصبحت المجامع خاصة بإحداهما وتُبطل قرارات الأخرى ولا تعترف بها.

وفي عام ١٢٢٥ عقد مجمع روما وفيه تقرر أن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء.

وفي عام ١٨٦٩ عقد مجمع روما وفيه تقرر أن البابا معصوم.

وقد رأى بعض اللاهوتيين الشرقيين أن هذه المجامع كانت في بداية أمرها وسيلة للدفاع عن الإيمان المسيحي ثم لم تلبث أن أصبحت بعد ذلك أداة في يد الإمبراطور لتنفيذ أغراضه. مستغلاً في ذلك مطامع بعض الأساقفة وطموحهم إلى الجاه والنفوذ والسلطان. وهكذا أصبحت المجامع أداة هدم بعد أن كانت أداة بناء وقد فتحت الباب على مصراعيه للخصوم والشقاق بين المسيحيين في البلاد المختلفة).[1]

---

(١) زكي شنودة: تاريخ الأقباط، ج١ ص ١٧٦.